من تراب الطريق (٤٢١)

بين اعتناق الرأي(*) واخراج اللسان!

أن تكون صاحب رأى فهذا حقك ، وأن تدافع عنه فهـذا واجبك .. فالرأى يلزم صاحبه بإبدائه والترويج له والذود عنه وصد أى اعتراضات عليه . هذا منطق لا يختلف عليه أحد .. فى أى مجال وفى أى موضع وفى أى اتجاه أو إطار . فحين تنتصر لمرشح رئاسى أو برلمانى أو شعبى أو محلى أو نقابى ، فالفرض أنك تنتصر لرأي قد تَكَوَّن لديك بمقوماته الموضوعية العاطفية والنفسية ، بحيث صرت ترى أن مرشحك هو أصلح وأكفأ وأقدر المرشحين لشغل الموقع الجارى التنافس عليه بين المرشحين . وحين تشجع ناديًا بعامة أو فى لعبة خاصة ككرة القدم مثلا ، فالفرض أنك تحب هذا النادى وتتشيع وتنتصر له لأن له فى نفسك وبحكم حاضره وتاريخه موقعا جعلك من عشاقه المتشيعين المتحمسين له ، لا نكاية أو إغاظة للأندية الأخرى ، وإنما عن اقتناع بأنه النادى الأفضل والأجدر بتقدم الرياضة أو اللعبة أو اللعبات وتحقيق الانتصارات ورفع المستوى الذى يصب فى النهاية فى مصلحة الرياضة والمنتخبات القومية . وحين تعتنق دينًا ، فلإيمانك به وبأنه رسالة السماء واقتناعك بصدق ومتانة وشمول وضبط وانتظام أحكامه وقواعده وسننه وأخلاقياته . نعم . أنت تراه أجدر باقتناعك هذا ـ من الأديان الأخرى ، وهذا مفهوم ،لأن إيمانك بالدين الذى آمنت به يعنى أن الأديان الأخرى لم تدخل دائرة اقتناعك ولم تؤمن من ثم بها . ولكن ليس معنى هذا أن اعتناقك

(*) المال١٧/ ٣/ ٢٠١٠ .

الدين الذى آمنت به ، ليس له غرض ولا غاية ولا هدف سوى إخراج اللسان للأديان الأخرى وأهلها ، ومهاجمتها عمّال على بطّال ، وإيذاء مشاعر الآخرين لغير حكمة أو علّة يرتضيها ويقبلها العقل والمنطق . وأنت حين تحب عباس العقاد وتُقبل على قراءته ، فليس ذلك كراهة فى طه حسين ، أو إهمالًا لشأن توفيق الحكيم ويحيى حقى ، والعكس صحيح . وأنت حين تعشق سماع محمد عبد الوهاب وتقدر أستاذيته وعبقريته وعظيم موهبته وتطرب له ، فليس الغرض أن تخرج لسانك لباقى الموسيقيين والمبدعين والمطربين . وحين تطرب لأم كلثوم ، فلا معنى لطربك لصوتها ـ إذا كان لمجرد إغاظة من لا يطرب لها أو يطرب لفيروز أو أحلام أو ليلى مراد .. والعكس صحيح .

هذه الاستطرادات لا تنتهى ، بمعنى أن الأمثلة قابلة للتعداد بغير حصر ، والذى استحضر ذلك ما صرت ألاحظه على الناس فى بلادى ، أنهم التفتوا عن اعتناق الرأى ومقتضياته ، وغلبت عليهم الرغبة فى الإغاظة وإخراج اللسان ، وهى رغبة أيا كانت دوافعها مريضة سقيمة .. وتُمسى أكثر سقما حين تغلب على الاقتناع الموضوعى الذى ينهض على مقومات وعناصر وأسباب . وجه الخطر فى اختلال البوصلة وغلبة الرغبة فى الإغاظة على المعايير الموضوعية ـ أنك يمكن فى المنافسات الانتخابية مثلا أن تترك الصالح أو الأصلح لمجرد الإغاظة وإخراج اللسان ، وتشايع وتصفق وتنتصر للمرجوح على ما فيه من عيوب أو افتقاد للصلاحية . خُذْ رئاسة مصر مثلا لترى حجم الهوة السحيقة التى تردينا فيها فيما اختلط فيه الحابل بالنابل بلا رؤية ولا عقل ولا منطق . أن ترى وجوب التغيير فهذا حقك ، وأن تدافع عن هذا الرأى وتدعو لفتح فرص الترشيح بلا تضييق ولا متاريس ،

فهذا واجبك وواجبى وواجب كل مصرى محب لبلده . ولكن هذا لا يعنى أن أروّج أو أنتصر أو أدعو لمن لا كفاءة ولا صلاحية ولا جدارة له يتبوأ بها هذا الموقع الرفيع . وقد جرى هذا ولا يزال يجرى ـ باستثناء الدكتور محمد البرادعى ـ ترويجًا أو دعوة لأشخاص لا يليق بعاقل أن يطرح واحدًا منهم ليكون رئيسا للجمهورية المصرية . والأدهى أن تبلغ الرغبة فى الإغاظة أو إخراج اللسان ، إسقاط وتجاهل ما تفرضه صحيفة السوابق أو الحالة الجنائية التى تمنع من الترشيح حتى لو عدلت المادة ٧٦ من الدستور ، لأن الشرط متعلق بمباشرة الحقوق السياسية بعامة ، ناهيك برئاسة جمهورية مصر بخاصة . صرنا نرى من يشجع الزمالك ويبكى ويقول متشنجا إنه قد صار له الآن أبا وأما ، وكأنه كان يتيما أو لطيما أو لقيطا . يفعل ذلك ويبالغ فى تصنعه لغرض فى نفسه لمجرد إغاظة الأهلى وإخراج اللسان للأهلوية ، والعكس . وهذه الإغاظة لا تبنى فريقًا ولا تنهض بنادٍ ولا تصلح اعوجاجا . الانصراف إلى إصلاح ما نحبه وننتصر ونتشيع له ـ هو الأجدر بمنفعته واستقامة مسيرته ما دامت مقاصد إدارته قد صلحت واستقامت .

أخشى أن أقول إن الإغاظة وإخراج اللسان من باب النكاية ـ قد صارت ظاهرة مرضية ضربت فى كل باب ، ومعنى ذلك أننا قد انصرفنا عن الواجب الذى علينا أن نلتفت إليه ونعتنقه بصدق وموضوعية ونؤديه ونرعاه ونقومه ونخدمه وننميه ونكرسه وندعمه ونقويه ـ تركنا ذلك إلى تنفيسات مرضية كليلة ضريرة عمياء تحمل بداخلها معاول هدمها الذاتية ، مثل نيران الحسد التى تأكل الحاسد قبل أن تمس المحسود . ما معنى ذلك ؟! معناه أن العقل غافل ، والوعى غائب ، والقدوة توارت ، وصارت الأمور لأصحاب اللغو والطبل والزمر وعشاق الهيافة والتفاهة أينما كانت !!